التلميذ الناشئ والشيخ الحكيم

الأخ ع. الفقار

إلى الحكّام الظالمين

قال التلميذُ الناشئُ لشيخهِ الحكيم :

– إنّ من حكّامِنا الظالمينَ من يتصوّرونَ أنّهم أمنعُ من أن تصلَ إليهم يدُ مخلوق ، فهـــم يتكبّــرون ويتجبّــرونَ ويبطشونَ بكلّ مَنْ يرفعُ رأسَه أو صوتَه في مواجهتِهم بالحقِّ أشدَّ البطش .. دونَ خوفٍ من أحدٍ أو مراعـــاةٍ لأحـــدٍ مهما كان

قال الشيخُ الحكيم :

– ما أجهلَ هؤلاءِ الحكّام! إن كانتْ لا تصلُ إليهم –كما يتصوّرونَ– يدُ مخلوقٍ فماذا يَعْصِمُهمْ من يدِ الخالقِ عزَّ وجلَّ؟

إنّني ما أزالُ أذكر من الصِّغَر هذه الأبياتَ التي رُوِيَ أنّها قُرئتْ على قبرٍ بالشام :

بـــاتُوا علـــى قُلَـــلِ الأَجْبَـــالِ تَحْرُسُـــهمْ ... غُلْـــبُ الرِّجـــالِ فلـــم تَـــنْفَعْهُمُ القُلَـــلُ

واســـتُنْزِلُوا بَعْـــدَ عِـــزٍّ مـــن مَعـــاقِلِهِمْ ... فأُســـكِنُوا حُفـــرةً يـــا بِـــئْسَ مـــا نَزَلُـــوا

نـــاداهُمُ صـــارِخٌ مِـــن بَعْـــدِ مـــا دُفِنُـــوا ... أيـــنَ الأسِـــرَّةُ والتيجـــانُ والْحُلَـــلُ

أيـــنَ الوجـــوهُ الـــتي كانـــتْ مُحَجَّبَـــةً ... مِـــنْ دونِهـــا تُـــضرَبُ الأَسْـــتَارُ والكِلَـــلُ

فأفـــصحَ القَبْـــرُ عَـــنْهُمْ حـــينَ ســـاءَلَهُمْ ... تِلْـــكَ الوُجُـــوهُ عَلَيْهـــا الـــدُّودُ تَقْتَتِـــلُ

قـــدْ طالَمـــا أَكَلُـــوا دَهْـــراً ومـــا نَعِمُـــوا ... فَأَصْـــبَحُوا بَعْـــدَ طُـــولِ الأَكْـــلِ قـــدْ أُكِلُـــوا

إنّ العقوبة –يا بُنَيَّ– إن لم تكنْ على أيدي الناسِ كانتْ على يدِ الله ، فلا نجاةَ أبداً للظالمين

﴿ **وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ**﴾ [إبراهيم :42]

فهل يتّعظُ الحكّامُ الظالمونَ قبلَ فواتِ الأوان ؟

يستبطئون نصرَ الله!

قال التلميذُ الناشئُ لشيخهِ الحكيم :

– إنّ الناسَ في بلادِنا يستبطئونَ نصرَ الله

قال الشيخُ الحكيم :

– إنّ ما عليهِ الناسُ في بلادِنا من معصيةِ الله ، والإعراضِ عنه ، والإقبال على الدنيا ، والعبوديةِ لها ، ولكلٍّ مـــا يوصِلُ إلى متاعِها الزائل ، لا يَسْتَنْزِل نَصْرَ الله ، ولكنْ غَضَبَ اللهِ وعِقابَ الله. ولقد قيلَ يوماً لِمالكِ بن دِينَار :

«يا أبا يحيى ، ادعُ اللّهَ أن يَسْقِيَنا

قال : تَسْتَبْطِئُونَ المطر؟!

قالوا : نعم

قال : إنّني واللهِ أستبطِئُ الحجارة»

وأنا –يا بُنَيَّ– لا أستبطئُ النصرَ ، ولكنْ أستبطئُ الهلاكَ والدمار ، ما دامَ الناسُ في بلادِنا على هذه الحال

كَفَى بالمرء خيانةً وظلماً وفسادا ..

قال التلميذُ الناشئُ لشيخهِ الحكيم :

– إنّ الناس يَظلمونَ فلاناً من أعوانِ هذا الحاكِم الذي حاربَ اللّهَ ورسولَه والمؤمنين ، ومَشى في صَفِّ الصليبيّينَ والصهيونيّينَ والمستعمرين .. ويتّهمونَه بالخيانةِ وهو –كما علمتُ– ليسَ رجلَ سوء ، ولا ممّن يمكنُ أن يتآمرَ أو يخون

قال الشيخُ الحكيم :

– كفى بالمرءِ خيانةً أن يكونَ عَوْناً للخائنين ، وظُلْماً أن يكونَ عوناً للظالمين ، وفساداً أن يكونَ عوناً للفاسدين .. فإن كان هذا الرجلُ ليسَ كما يزعمون ، فلماذا لا يتركُ مكانَه على الأقلّ ويستقيل؟

طبيعتانِ ونظرتانِ إلى الأمور

قال التلميذُ الناشئُ لشيخهِ الحكيم :

– يقولون عنك مستعجبين : لقد تقدّمتْ به السنُّ وما يزالُ يفكّرُ بمنطقِ الشباب ، ويتحدّثُ بلغـــةِ الـــشباب ، ويكتبُ بحماسةِ الشباب! .. أما آن لحماستهِ الْمتّقِدةِ أن تَفْتُر ، ولآمالِه الواسعةِ أن تَـــضيق ، ولأهدافِـــه البعيـــدةِ أن تقترب بما يُناسبُ سِنَّه وصحَّتَه ، وما بَقِيَ لأمثالِه من العمر

قال الشيخُ الحكيم :

– إنّني عندما أفكّرُ للإسلام والمسلمينَ لا أفكّرُ لهم في حدود سِنّي وصحّتي وعُمُري ، ولا أحـــبِسُ أهـــدافَهم في حدودِ طاقتي وقدرتي وحياتي وموتي ، وإنّما أفكّرُ لهم في حدودِ الإسلام وما يطلبُه الإسلامُ في الحاضرِ والمستقبل

إنّ أهدافي البعيدةَ هي أهدافُ الإسلامِ والمسلمينَ جميعا .. وما لا أستطيعُ تحقيقَه بنفسي يُحَقِّقُه غيري ، أو تحقّقه الأجيالُ المقبلةُ من بعدي .. وحَسْبي أن أؤدّيَ بإخلاصٍ دوريَ الذي أستطيعُ أداءَه في العمـــلِ الإســـلاميّ الـــشاملِ المنبسطِ في المكان ، الممتدِّ في الزمان ، الذي يجبُ أن تتكاملَ فيه الجهودُ كلُّها في العصر الواحد ، وعَبْرَ سائرِ العصور

أمّا أن أجعلَ نفسي هي الأصل لا الإسلام ، وأُحَدِّدَ بظروفي الخاصّةِ أهدافَ الإسلام والمسلمينَ ، وآمالَ الإنسان .. فأنانيَّةٌ وانتهازيَّةٌ واستغلال ، وخيانةٌ لله ، ولرسوله ، وللمسلمين ، ولسائر الناس